منظمة جيش الخلاص ودورها في تطور المفاهيم والوسائل التبشيرية ١٨٧٨- ١٩١٨م

المدرس الدكتور
حيدر جاسم الرويعي
كلية التربية - قسم التاريخ

أوروك للعلوم الإنسانية
المجلد : ٨ – العدد : ١ / ج١ - السنة : ٢٠١٥

(

منظمة جيش الخلاص ودورها في تطور المفاهيم والوسائل التبشيرية ١٨٧٨- ١٩١٨م

المدرس الدكتور
حيدر جاسم الرويعي
كلية التربية- قسم التاريخ

الملخص

منظمة جيش الخلاص واحدة من الحركات التبشيرية غير الطائفية التي أسست في بريطانيا في القرن التاسع عشر، وتوجهت بجهودها نحو عوالم لم يعرها الجهد التبشيري أي اهتمام آنذاك، نحو الفقراء والمشردين والبغايا والمدمنين، وتميزت باتباعها أساليب غير تقليدية بالتبشير، باعتمادها النظام والزي العسكري في التنظيم، واستعانتها بالموسيقى والمسيرات الاحتفالية الجماهيرية، وتمكنت من الثبات والانتشار على الرغم من المقاومة العنيفة التي واجهتها من المؤسسات الكنسية والتيارات الاجتماعية المعاصرة لمرحلة تأسيسها، بفضل جهود مؤسسها الواعظ الميثودي الجنرال لاحقا وليم بوث، وقدرته على فرض إرادته التي وفرت الطاعة العمياء لشخصه، ولأفكاره التي وفرت معالجات للجوانب الروحية والمادية لأتباعه، فلم تكن منظمته دينية فحسب، بل اجتماعية، وعسكرية، وتجارية، وسياسية في آن واحد، أسهمت الامبريالية الثقافية على توسيع انتشارها إلى أنحاء العالم كافة، بعد أن تناغمت مع أهدافها الإستراتيجية، ووجدت فيها القدرة على خدمة مصالحها الاستعمارية.

المقدمة

اهتمت الإرساليات التبشيرية على اختلاف مذاهبها، كما هو متعارف عليه، بنشر تعاليم السيد المسيح بين الشعوب التي لا تدين بالمسيحية، بأساليبها ووسائلها

المعهودة، ثم وجهت اهتمامها منذ بداية عصر النهضة، نحو ضم الطوائف المسيحية الشرقية، لا سيما الأصيلة منها في الشرق الأدنى، إلا أن ما ميز منظمة جيش الخلاص عن باقي الإرساليات التقليدية، إن نشاطها لم يتركز على نشر الإنجيل وتعاليم السيد المسيح فقط، ولا على الفئات الانفة الذكر فحسب، بل امتد ليشمل مواجهة الظواهر السلبية في المجتمع الذي نشأت فيه، وبين أبناء الكنيسة الميثودية وباقي الكنائس البروتستانتية، ولم تقتصر نشاطاتها في التبشير على استخدام الأساليب المعهودة، وإنما ابتكر مؤسسها وليم بوث وسائل غير تقليدية، بدءا من الغناء والتجمعات الحاشدة في الأماكن العامة، مرورا باتخاذ النظام العسكري - وما ترتب عليه من طاعة عمياء ورتب و زي - منهجا صارما في تسيير أمور المنظمة، وصولا لاعتمادها على أساليب علمانية كأي مؤسسة مدنية غير دينية في إدارة شؤونها.

تكون البحث من مقدمة، ومدخل لتحديد ملامح البيئة الدينية التي ظهرت فيها المنظمة، و ثلاثة محاور، الأول منها بعنوان "وليم بوث مؤسس منظمة جيش الخلاص: حياته" اختص بدراسة حياة المؤسس ونشأته، وما واجهه من أحداث أسهمت في تكوين شخصيته وأثرت بفاعلية في تحديد توجهاته الفكرية والدينية، والمحور الثاني بعنوان "تأسيس منظمة جيش الخلاص" اختص ببواكير تأسيس المنظمة ونموها، ومن ثم المجالات التي على ضوئها تم تقسيم العمل في فيها، وشملت: الجانب الروحي، والجانب الاجتماعي، والجانب التجاري، أما المحور الثالث والذي حمل عنوان "الموقف من تأسيس المنظمة"، فشمل بالدراسة رد الفعل المناهض، الذي نتج عن ممارسة نشاطاتها من المؤسسات الكنسية والمدنية، في حين اتسم موقف السلطة بالضبابية بداية الأمر، فلم تتخذ موقفا واضحا نحو ما كانت تتعرض له المنظمة من اعتداءات من معارضيها، بل أسهمت بدورها بجزء منه، إلا إنها وضعتها

في دائرة الاهتمام بعد ازدياد أعداد المنظمين لها، واتساع رقعة نشاطها السريع والمؤثر للولايات المتحدة وأوربا ومعظم دول العالم، وتنتهي الدراسة بخاتمة لإجمال الاستنتاجات التي خلصت لها.

اعتمد إعداد الدراسة على جملة من المراجع باللغة العربية اقتصرت على مدخل البحث، والعديد من المراجع باللغة الانكليزية شملت باقي محاور الدراسة، تم تقسيمها على ثلاثة أقسام: الأول يضم المراجع التي تتحدث بلسان المنظمة، والتي قدمت صورة عن الأفكار والتوجهات داخلها، وشملت المؤلفات التي صدرت عنها مثل كتاب مؤسسها William Booth الموسوم "In Darkest England and the Way"، والقسم الثاني، ضم المراجع التي تعبر عن وجهة نظر معارضة للمنظمة، مثل كتاب "القس" الضابط S. B. Williams المستقيل من جيش الخلاص، والذي حمل عنوان "The Salvation Army Today"، أما القسم الثالث، فقد شمل مؤلفات معتدلة في توجهاتها تعتمد الوقائع التاريخية وتحليلها من دون انحياز، مثل كتاب Randal Herbert Balmer الموسوم "Encyclopedia of Evangelicalism"، وكتاب الراهبة الإنجليكانية Nora Marks الذي حمل عنوان "Facts about the Salvation Army, Aids and Methods of "Hallelujah Band"، إضافة إلى مجموعة من البحوث والتقارير المنشورة في بعض المجلات التاريخية والأكاديمية.

مدخل

كانت الحاجة الماسة عند المؤمنين بالمسيحية في نهاية العصر الوسيط لدين أكثر خصوصية، أقل شكلية، وأقل طقوسية، وهي متطلبات ما يمكن تسميته بالتدين الحديث Modern Religiosity، المتمثل بـ البراءة بواسطة الإيمان، والذي أصبح ضروريا وكافيا للخلاص والنجاة من عذاب الأبدية[1]، فاتجه المصلحون في تعاليمهم

لإنكار سلطة البابوية والعقائد والتقاليد التي ترعاها، واعتمدوا الكتاب المقدس مرجعا وحيدا لكل العقائد والتعاليم الكنسية، لهذا السبب أطلق مارتن لوثر Martin Luther (1483-1546م) وأتباعه على أنفسهم صفة "الإنجيليون Evangelicals"[٢]، في حين تأثرت العديد من الحركات بمذهب جون كالفن John Calvin (1509-1564م) الأكثر راديكالية من اللوثرية سواء على الصعيد العقائدي – لاسيما في ما يتعلق بمسألة المبادرة الإلهية والقدرية، التي اختلف فيها عن حرية الاختيار ومشيئة الإنسان في صنع خلاصه عند اللوثرية - أو على الصعيد الاجتماعي[٣]، والتي تسمى بالـ "المشيخية Presbyterianism[٤]، وبشكل عام يطلق على جميع الكنائس البروتستانتية Protestantism التي اتبعت تعاليم المصلحين السويسريين كالفن وأولريخ زوينكلي Ulrich Zwingli (1484-1531م) اسم الكنائس المُصلحة Reformed Church ولـ كالفن التأثير الأكبر فيها، في مقابل الكنائس البروتستانتية التي اتبعت تعاليم لوثر، التي يطلق عليها اسم الكنائس اللوثرية أو البروتستانتية Lutheran or Protestant[٥].

عكست الفرق البروتستانتية طبائع الشعوب التي أبصرت فيها النور، إذا كانت صوفية أو تَقّوية في ألمانيا، وطهرانية أو ذات ميول اشتراكية في انكلترا، فهي تسمح لنفسها أن تتوسع بكل تفسيرات الكتاب المقدس الممكنة[٦]، فحدثت منذ القرن الثامن عشر عمليات تحوّل بنيوية بدأت تدخل المسيحية البروتستانتية، تمثلت بما يعرف بـ "تهويد المسيحية" وجوهره انتقال الحلول الإلهي من الكنيسة إلى الشعب، وكان أهم ما طرحته قضية أن الكنيسة ليست ملكوت الله، وهي بحسب رأيهم إحدى منظمات الشيطان، وعلى البروتستانت أن يسعوا لتدميرها وان يساعدوا اليهود على العودة إلى فلسطين[٧]، وقد تناحرت هذه الفرق والمذاهب لاسيما في أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية، وهو ما أدى إلى بروز مذاهب جديدة ترفض القديمة

وتطرح أفكارا تميل للتطرف بشكل كبير، وهي الطوائف التي تعرف عامة بـ طوائف العنصرة Pentecost وأدعياء الإنقاذ Charismatic Movement ومن تلك المذاهب، طائفة البيورتان Puritan[٨]، وطائفة الادفنتست السبتيين Seven Adventist Church[٩]، وما يعرف بـ شهود يهوه Jehovah's Witness[١٠]، و الميثودية Methodist[١١]، التي انتمى لها مؤسس منظمة جيش الخلاص والتي سنتناولها بالبحث وغيرها.

- وليم بوث William Booth مؤسس جيش الخلاص- حياته

ولد وليم بوث في العاشر من نيسان/ ابريل سنة 1829م في نونتينغمشير Nottinghamshire في مدينة نوتنغهام Nottingham ، من أسرة فقيرة، والمعلومات المتوفرة عن طفولته قليلة بسبب عدم وجود يوميات أو رسائل عن حياته المبكرة، والده صاموئيل بوث Samuel Booth الذي عمل في حِرف متعددة من اجل لقمة العيش، منها صناعة المسامير وعامل بناء، ووالدته ماري موس Mary Moss ابنة عامل وبائع متجول، عملت مدبرة منزل حتى لقائها بـ صاموئيل وزواجها منه سنة 1824م[١١]، أما ما تعلق بطبيعة حياة عائلته الدينية، فلم يعرف عنها إلا انه نشأ على مذهب جون ويسلي John Wesley – الميثودية –، وقد كان في الخامسة عشر من عمره حينما سمع بالتحول في حياة بولس الرسول[١٢]، وتعرف على حادثة الخطاب الذي وجهه له الملاك في طريقه لدمشق، داوم بوث على الحضور في خدمة الكنيسة، وكان يشير إلى ظهور الروح القدس له، ويدعوه إلى خدمة الرب كونها الطريق الوحيد للخلود[١٣].

عمل في بداية حياته متدرباً لدى احد مكاتب الرهن في مدينة نوتنغهام للمساعدة في دعم عائلته، وفي كتابه In Darkest England and the way out يتذكر وليام بوث مدينته: "**كنت مجرد طفل ينظر إلى التدهور والبؤس وعجز الفقراء في مدينته**

الأم، جموع هزيلة منكوبة تتخبط وهي تنشد بتكاسل الأناشيد الحزينة في شوارعها يتزاحمون على جمعيات الإغاثة كالعبيد ..."[١٤]، و بعد وفاة والده سنة 1849م أصبح المعيل لهم وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة، فانتقل إلى لندن للعمل على تحسين أوضاعه، إلا انه لم يجد إلا العودة للعمل في مكاتب الرهن[١٥]، يقول عن تلك الأيام: " حاولت جاهدا أن أجد أي عمل يخلصني من العبودية المذلة واحصل على المزيد من الحرية لتنفيذ أفكاري لكني فشلت وكانت تلك الأشهر من بين الأكثر خرابا في حياتي"[١٦]، وكان وقت وصوله إلى لندن قد شهد حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار في مجتمع كنيسة ويسلي، نتج عنه تشكيل الكنيسة الميثودية الحرة The Free Methodist Church، وقد وفرت له فرصة اللقاء سنة 1852م مع Edward Rabbits، احد المتنفذين في المجتمع الويسلياني، الدعم المالي القصير الأجل، ومكنته من ترك العمل في مكتب الرهن، والسعي لتولي منصب واعظ ميثودي[١٧].

وفي السنة نفسها انظم إلى سلك الكنيسة الميثودية، ولم يكن حينها قد تلقى تعليما لاهوتيا متقدما، فحافظ على نفسه بعيدا عن حالة الجدال التي كانت قائمة آنذاك، كونها ستشكل خطرا على نموه الروحي، وتعيق مهمته في التبشير لخلاص النفوس وهو لازال واعظا محليا[١٨]، واخذ يقضي أمسياته في الوعظ في زوايا شوارع الفقراء، وفي أيام الآحاد اخذ يقدم خدماته أينما دعته الكنيسة الميثودية[١٩]، إلا انه تخلى عن من منصبه بوصفه واعظاً ميثودياً، وتحول إلى ممارسة الوعظ في الهواء الطلق، الأمر الذي جعله يدرك مدى ما وصل إليه المجتمع من قسوة، وما لحق بفئات عديدة من طبقاته الدنيا من البؤس، فشبه الحالة في انكلترا بمجاهل أفريقيا: **"انكلترا القاتمة، مثل أفريقيا المظلمة، تفوح منها رائحة الملاريا، وروائح الأنفاس النتنة الكريهة التي تنبعث من الأحياء الفقيرة سامة كما هي روائح المستنقعات الأفريقية، ... إنها ليست سوى جزء من الشر والبؤس الناجم عن السباق الرئيس لغزو الغابات**

لاستعباد سكانها ..."[٢٠]، فكان له ارتباط وثيق مع الفقر، وشاهد مدى المعاناة اليومية للمحتاجين، والقوة التدميرية للخطيئة، وكان إصراره على اتباع طريقة الوعظ هذه، سببا لطرده من مجتمع الميثوديست الويسليانيين، بعد رفض الطلب الذي قدمه للكنيسة للسماح له بممارسة وعظه الحر[٢١]، الأمر الذي ولد في نفسه الكره العميق للفقر، وللأساليب التي تنتهجها المؤسسات الكنسية لتجاهله، وأن ينحى منحىً راديكاليا في آرائه السياسية[٢٢].

تعرف ويليام عن طريق رابتز على كاثرين مومفورد Catherine Mumford الشابة المتدينة المؤمنة بالإصلاح، والتي أصبح لها تأثير مهم في تحديد مسارات حياته، بل هي من حولت نشاطه الجم من الابتذال، إلى أن يصبح واحدا من أكثر رجال الدين أهمية في العالم[٢٣]، ولدت كاثرين في اشبورن Ashbourne في مدينة ديربشاير Derbyshire سنة 1829م، وانتقلت مع عائلتها إلى لندن 1844م، وأصبحت عاملة في مجتمع كنيسة ويسلي[٢٤]، فخطبها سنة 1852م وتزوجها سنة 1855م، عملت كاثرين على دعمه لمعالجة القصور في مجال دراسته اللاهوتية، وأمضت أوقات فراغها معه في دراسة مستفيضة لأفكار ويسلي المتعلقة بعقيدة حرية الخلاص لكل إنسان، والخلاص الكامل من كل خطيئة[٢٥]، وأنجب منها ثمانية أطفال، كان أكبرهم براموبل Bramwell أو بوث الثاني، الذي تسلم منصب الرئاسة في المنظمة التبشيرية التي أنشأها والده طبقا لدستورها الذي وضع سنة 1878م، كما وضع أفراد أسرته في مراكز مهمة في المنظمة في أطار سعيه لتوريثهم[٢٦]، وعلى الرغم من جدية براموبل وحسن نيته في محاولته اتباع خطى والده في قيادة المنظمة، إلا انه لم يمتلك السلطة الروحية والزمنية المطلقة، إذ صادر بعض هذه السلطات مجلس الأمراء الذي تكون من قادة الجيش الكبار، أما بوث الثالث صاحب الصوت الخافت، فقد كان أضعف من أسلافه، ولم يكن يمتلك

سوى الطموح الذي كاد أن يودي بالمنظمة للفوضى بعد إعلانها الحرب الصليبية ضد كل شيء، إذ كان نمو هيئاتها وممتلكاتها قد أدى إلى ظهور الاستبداد في كافة مفاصلها[٢٧]، كما تولت ابنة الجنرال بوث ايفانجلين Evangeline رئاسة جيش الخلاص في الولايات المتحدة الأمريكية، وحققت تطورا مهما في عمل المنظمة، كانت له نتائج بالغة الأثر في اتساع أنشطتها وتنامي قوتها في الولايات المتحدة وخارجها[٢٨].

- تأسيس منظمة جيش الخلاص

أسست إرسالية جيش الخلاص منظمةً دينية/خيرية، وواحدة من الأعداد المتزايدة من الحركات غير الطائفية، التي أنشأت من اجل إيصال الإنجيل إلى الشعوب الوثنية، عن طريق نشاطاتها التبشيرية، أسسها بوث حين تحول إلى مصلح متجول، بعد أن رفضت كنيسته عمله بين الجماهير سنة 1861م، وأطلق عليها في بادئ الأمر اسم البعثة المسيحية أو إرسالية شرق لندن المسيحية East London Christian Mission سنة 1865م، بوصفها منظمة منفصلة عن الميثودية، وقدم أولى خدماته في الطرف الشرقي من لندن، حين نصب خيمة في منطقة مهجورة على مخلفات مايل إند[٢٩]، فأجبر المجتمع اللندني من خلال جمع العشرات من المشردين في مكان دافئ، على الانتباه إلى الحالة المزرية التي يمر بها المنبوذون الذين لا مأوى لهم في لندن[٣٠]، تحولت البعثة سنة 1878م إلى منظمة جيش الخلاص Salvation Army، لتكون منظمة شبيهة بالمؤسسات العسكرية، رفعت العلم ذا الألوان الثلاثة الأصفر والأحمر والأزرق شعاراً لها، ويشير كل لون منها إلى رمز معين: الأزرق إلى القداسة، الأحمر القرمزي يرمز إلى الركن الأساس من المسيحية، الا وهو الخلاص من دم يسوع المسيح، بينما تشير النجمة الصفراء في الوسط إلى معمودية النار من الروح القدس، ومثل نقش المدرج على النجم الدلالة على اثنين من

المذاهب الأساسية الكبرى في المسيحية للمنظمة، دم المسيح والنار للروح القدس[٣١]، واعتمدت نظام المراتب كأي جيش نظامي يرتدي أعضاؤه الزي العسكري[٣٢]، وانتشر استعمال المصطلحات العسكرية وما يترتب عليها بشكل غير رسمي حتى سنة 1879م، عندما اعتمد بوث – كان حينها يطلق عليه لقب مراقب Superintendent – رسميا للألقاب العسكرية وأساليبها، من اجل تفعيل مراقبة منهجية وفعالة للمنظمة، وأصبح يطلق عليه لقب جنرال General[٣٣]، وكان المنتسبون كلهم على اختلاف رتبهم يطيعونه طاعة عمياء، وكان عليهم أن يلتزموا بالعديد من الضوابط التي تتعلق بالقسَم المفروض على الأعضاء والمتطوعين وبالتوجه الديني للمنظمة، فالتدخين وشرب الخمر من الممنوعات ولا يسمح لمن يتناولها الانضمام لها، وكثيرا ما كانت تصدر عقوبات صارمة بحق من لا يلتزم بكلام الجنرال أو القوانين المفروضة في جيش الخلاص، وعندما أصبح للجيش انتشار واسع وقوة كبيرة في العديد من المدن، كانت هناك محاولات إجبار الناس للدخول في عداد المنظمة، ومن يرفض تمارس ضده مختلف وسائل الضغط[٣٤].

تعددت المهام والواجبات داخل أروقة المنظمة، وتم تقسيم العمل فيها على ثلاثة محاور:

١- الجانب الروحي:

تمثل بهدف المنظمة الأساس التبشير بالإنجيل والخلاص البشري، وتهيئة الجيش روحيا من اجل الاستعداد لعودة المسيح في نهاية الألفية، مع عدم اهمال الجانب المادي، فخلاص النفوس بنظر بوث لا يقتصر على الروح فقط، وإنما يتطلب توفير عوامل مساعده لتحقيق التكامل في العمل التبشيري، ومكنه ذلك من حمل الحماس المسيحي إلى عوالم لم يتم اختراقها من قبل، حيث الفقر والجهل، فكان من أوائل الرهبان الذين عملوا بمجهود عالي النوعية[٣٥]، لأجل ذلك ألفت فيه الأشعار

والقصص التي جعلت منه أسطورة بين محبيه وأتباعه[٣٦]، ويشيرCoates في هذا الجانب، إلى أن تأسيس منظمة جيش الخلاص قد شكل قصة من الرومانسية الاجتماعية، فهي بمثابة إحياء الروح الإيمانية التي سادت في منتصف القرن السابع عشر، لتنتشر في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، كما لو أن روح جورج فوكس Gorge Fox (1624-1691م) – المصلح الديني - قد دخلت جسم وليام بوث[٣٧]، ومنه انتقلت إلى أعضاء المنظمة، فهم يمتلكون الإحساس بسعادة الطاعة، وان امتلكها احد فلابد أن يكون من جيش الخلاص، الذين يشعرون بتفوقهم الروحي على أولئك اللعّانين، ويضربون الخطاة للتوبة بضربهم على الدفوف، بدلا من الجلوس في مقراتهم للتكبر والسخرية على الآخرين[٣٨].

شكّلَ بوث منظمته على أسس مماثلة لتلك التي أنشأت عليها الكنيسة الميثودية، لكن بأسلوب مختلف، مصدره كان ما يعرف بـ "فرقة التسبيح Hallelujah Band" الذي سبق التشكيل بـ١٥ سنة، من خلال التعبير بشكل درامي عن فكرة "المليشيا الكنسية على الأرض" [٣٩]، وحدد "**جوهرها الأساس ليس بالتعاطف مع المحتاجين فقط، بل السعي لتوفير الخبز للجياع والملبس للعراة وقبل كل شيء العمل لمن لا عمل له، باعتبارها مشيئة الله ...**"[٤٠]، ورغما عن كونه معمدا على المذهب الإنجليكاني، إلا انه بعد تحوله تحت رعاية الكنيسة الميثودية، وضمن تقاليد المنهجية الويسليانية، تحولت الدراسات والتراتيل العقائدية لويسلي، لحجرٍ أساس في مصفوفة لاهوته التي أسست على نهجها المنظمة، والتأثير المهيمن في توجهه اللاهوتي كان للمجددين الميثوديين فويب بالمر phoebe palmer وجيمس كايه James caughey[٤١]، وكان الأخير قد حقق مكاسب مهمة للكنيسة الأسقفية الميثودية،

واحدث نهضة لا شك فيها في الجانب الديني لمدينة نوتينغهام، وتم الاعتماد على محاضرات الإحياء الديني للمشيخي تشارلز فيني Charles Finney، نصاً أساساً من بوث للتدريب الروحي في المنظمة، وفي وقت لاحق أصبح مطلوبا للطلاب في حركة الإحياء الديني التي اجتاحت بريطانيا(٤٢).

اعتمدت المنظمة في تهيئة أعضائها بمختلف المستويات والمراتب على محورين(٤٣)، الأول هو الإعداد الديني العميق، فوضعت نهجا فريدا نسبيا، في عملية التكييف الثقافي للطبقة العاملة من رجال الدين، لتتمكن من استعمال الأشكال الثقافية المكتسبة لتعزيز كوادرها المتقدمة الذين يطلق عليهم الخلاصيين Salvationist(٤٤)، جوهر هذا الإعداد يتمحور حول اليقين، فهو **"لا يتولد عن دراسة الكتب ولا حتى الكتاب المقدس نفسه، بل من إيمان الروح من تلقاء نفسها بـ "حَمَلْ" الله الذي اخذ على عاتقه حمل الذنوب عن البشر، واليقين هو الذي يغير في لحظة سلاسل الخطيئة في ظلام سجن الروح، إلى ضوء يمنح القوة والفرح للعبد لان يتحرر مع المسيح، وهذا هو الفتح العظيم لإنقاذ جندي الخلاص في أي مكان"**(٤٥)، والمحور الثاني يتركز على التدريب العسكري، الذي يعطي لأعضائها فعالية وقدرة كبيرة على التكيف على وفق مختلف الظروف، فكان لهم دور واضح في العديد من الكوارث المدنية كالحرائق والزلازل وما شابه(٤٦).

عبرت المنظمة عن أهدافها هذه بأساليب غريبة، مثلت للمعاصرين لزمن نشأتها منهجا غير تقليدي، فكان الغناء والموسيقى المصاحبة لنشاطاتهم العامة، مسألة تثير الاستغراب والتساؤل، وقد أشارت الراهبة Nora Marks التي عاصرت الأحداث التي رافقت تأسيس المنظمة إلى هذه الحقيقة بقولها: **"كنت قد توقفت للحظة في احد**

الشوارع حيث يتجمعون، شهدت ركوعهم على التراب أثناء الصلاة، سمعتهم يغنون الإنجيل بالعامية، ضربهم الرهيب على الدفوف، ونصائحهم وتحذيراتهم، تثير الضحك، ألاستنتاج الواعي الوحيد الذي تولد لدي إنها بالنسبة لهم نوع من التسلية الممتعة، التي تثير فضول الآخرين، إلا أني الآن أفكر أن ما يدفعهم لسلوك هذا النهج الغريب في التعبير عن أنفسهم، لم يكن الحصول على المجد والامتيازات والفوائد المترتبة عليه في هذا العالم، لأنهم لن يصلوا إليه، بل هو الفقر والازدراء والنبذ، الذي يجب أن يمنحهم بعض الأمل في حياة أخرى قادمة"[٤٧].

كان الجيش يستعين في استعراضاته على نسبة كبيرة من كبار السن، إذ حدثت حالات إغماء وسقوط متكررة أثناء المسيرات، كما استعان أيضا بالمجانين، الذين بالإمكان التعرف عليهم من خلال الحشرجة والأصوات الصاخبة بدون فكرة أو كلام مفهوم، وكذلك الضرب بغضب على الطبول لإخفاء ما بهم من ضعف وخلل[٤٨]، وفي دفاعه عن اتخاذ هذا الخيار وسيلة تبشيرية، أشار الجنرال بوث إلى أن ملايين الناس في كل جزء من العالم تعرف الغناء، مما يسهل عملية استغلاله لنشر الأفكار، ولتوجيه رسائل تحمل مفاهيم الخير، وأضاف معلقا في ترويسة كتاب يضم مجموعة كبيرة من الأغاني التي تتناول المنظمة وقيمها وأهدافها، انه من الجيد بالنسبة له إنشاء مجموعة شاملة من الأغاني تنشر الفائدة في كل البقاع، بحيث يكون لـ "شعبه" مخزون أكبر من الأغاني التي يمكن استعمالها للمناسبات جميعها، لتترك وراءها أثرا لمن يستعملها أو يحفظها أو يترجمها، والمعيار الأساس لتنامي هذا النوع من الغناء، هو أن تحمل في ثناياها طابع المنظمة ومذاق الخدمة التي تقدمها، ومن خلال استعمال الأغاني التي قد يكون لها شعبية لاحقة، تولد لدى الآخرين كَمّ من المشاعر الجميلة[٤٩]، وهو يدعو إلى اقتناء هذا الكتاب للاستفادة القصوى، التي تتحدد من خلال الاهتمام بالمعنى الذي تدعو إليه كل أغنية، وقراءتها وتعليمها

للأطفال في الصباح والمساء، ولا بد للعالم أن يعي مثلنا – بحسب بوث - إن ما نقوم به، أعلى قيمة من الغناء بسبب حالة الفرح الخاصة بخلاصنا، بل بفرحة ما أعطانا الله لنا، ليعلمه أولئك الذين لم يتعرفوا عليه أو على آثاره، بما نثيره لديهم في غنائنا من أفكار جديدة وحياة جديدة، والغاية من الغناء أن ترتقى بروحك وترتفع بها إلى الله، وان ترفع عيون الذين لا يعرفون الله بأنه هو ينبوع فرحنا وسرورنا[٥٠].

٢- الجانب الاجتماعي:

حققت المنظمة تقدما تبشيريا واضحا بازدياد أعداد المتحولين لها بشكل كبير خلال وقت قياسي، بداية تركزت هذه النجاحات المهمة في انكلترا في فترة وجيزة، ففي مدينة مدلزبره Middlesbrough مثلا استطاع الضباط والجنود من تحويل "عشرة ألاف" شخص للمنظمة[٥١]، فتضاعفت فروعها وتمددت حتى احتلت المدن الصغيرة، وأصبح لها قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، ٣٩ مدرسة لتدريب الرجال والنساء على مختلف الفنون وفي مختلف المناطق، كان التدريب فيها يشتمل على فنون التعامل في الحقول والمنازل وبأدق التفاصيل[٥٢]، وبعد إعداد الآلاف من المتدربين على وفق منهج المنظمة، تمت الاستعانة بهم في توسيع نطاق العمل، وجرى توزيعهم جزء في بريطانيا، وجزء لبدء العمل في أجزاء مختلفة من الولايات المتحدة وأوربا، والبعض الآخر مبشرين في أنحاء العالم، التكوين العام للمنظمة يبدأ من هرم السلطة، أو ما يعرف بالإدارة العامة التي تشرف على المقاطعات، التي تقسم بدورها إلى شُعَبْ وتنتهي بالفيالق، والسلطة مركزية إلى حد كبير بيد الإدارة العامة التي ترأس أولها الجنرال بوث[٥٣]، ومقرها الوطني في لندن، فيما احتلت الولايات المتحدة، التي دخلتها منظمة جيش الخلاص سنة 1889م المرتبة الثانية من حيث الأهمية[٥٤].

كان بوث ميالا للتنظيم إلا انه دافع دائما على أن يؤسس لجيش الخلاص نظاما يتسم بالمرونة[٥٥]، من خلال هيئات وأقسام مختلفة تنظم الزيارات إلى الأجزاء الدنيا

من المدن، فهناك فيلق الأحياء الفقيرة، وفيلق إنقاذ العمال، وفيلق إنقاذ المنازل، وأطلق عليها مجتمعة قسم "الإدارة الاجتماعية"، في حين أطلق اسم "الإدارة الصناعية" على فيالق إنقاذ المصانع الصغيرة، وساحات الخشب، والمستودعات والمخازن الرخيصة، كذلك الحال هناك قسم "الإدارة الزراعية"، وقسم "رعاية الأطفال" لإنشاء رياض الأطفال ودور رعاية الأيتام، وعلى الرغم من أن خطوط العمل المتطورة هذه تحوي في كل منها مجموعات خاصة للعمل، إلا أن الجميع يتبع أوامر النظام الإداري للمقاطعات والشعب والفيالق، التي يسيرها قسم "الإدارة الروحية"(٥٥)، وقد دافع بوث على الدوام، عن استغلال الحماس والبساطة والعفوية لدى الشباب الذي لا يجب أن يتم قمعه، مادام لا يتجاوز أنظمة وقوانين الجيش(٥٦)، لتحقيق الحيوية والتقدم المطلوبين، أما الفئات التي تستهدفها المنظمة ونشاطاتها فهي التي لا يمتلك أفرادها رأس مال أو مصدر ثابت للدخل، وأولئك الذين يبذلون قصارى جهدهم حد الإعياء، لبلوغ بدل تنظيم الغذاء الذي ينص عليه القانون، والذي لا غنى عنه حتى لأسوأ المجرمين في أهداف المنظمة(٥٧).

كان دور المرأة في بريطانيا في منتصف القرن التاسع عشر، يشغل حيزا ضئيلا في الحكومة والقيادة العلاقات الخارجية، والتعليم محصورا في الذكور دون النساء، كذلك الحال بالنسبة للكنيسة في منتصف العهد الفيكتوري(٥٨)، فلم يكن من حقها التصويت أو إبداء أي موقف قيادي في الكنيسة، في حين تصرف بوث عن قناعة تامة بتكافؤ الفرص والمساواة بين الجنسين في بث الدعوة الإنجيلية(٥٩)، وخصص لها مكانة بارزة في مهام المنظمة وأدبياتها منذ التأسيس، فكثيرا ما تحدث بوث بإسهاب عن الفضائع والمظالم التي ترتكب بحقها في المجتمع، عن واقع الفتيات اليتيمات والفقيرات، وكيف يتم استغلالهن أبشع استغلال من قبل أرباب العمل، فهي تواجه التجويع أو اللجوء إلى التخلي عن الفضيلة لكسب العيش، ومن ثم يتم التعامل معها كما العبد المنبوذ لتنحدر إلى قعر الهلاك "البغاء"(٦٠)، وقد أسهمت كاثرين بوث

بدور محوري في توجيه حقوق المرأة ودعمها في المجتمع، لا سيما وأنها تحولت إلى امرأة تحترف اللاهوت، وأصبحت تدعى بـ "أم الجيش" بعد تأسيسه، واعتمدت مع زوجها لاهوت الكويكرز Quakers "جمعية الأصدقاء الدينية"[٦١] لانتزاع الاعتراف بهذه الحقوق داخل المنظمة، بالرغم من الارتباك الذي سببه هذا الموقف للوافدين والمنتسبين الجدد المنظمين لها[٦٢].

تكونت في المنظمة هيئة للعمل بين البغايا، عرفت باسم "قسم إنقاذ المرأة" من اجل الإصلاح والارتقاء بمستوى المرأة[٦٣]، فرضت مجموعة من القوانين التي تسهم في الرفع من قدر المرأة، وتوفر لها الاحترام شكلا ومضمونا، ففي الوقت الذي دافعت فيه عن إمكاناتها العقلية والبدنية لتولي المهام الموكلة إليها كافة، فقد حددت الواجبات التي لا بد للمرأة من الالتزام بها داخل المنظمة، فحضورها الاجتماعات الرعوية أو الاحتفالات أو مختلف النشاطات الجماهيرية، يجب أن يكون بمعزل عن الرجال، ويمنع اختلاطها معهم في الصفوف أو الجلوس، فعلى الدوام هناك حيز فاصل بين الجنسين[٦٤]، وكان هناك أيام معينة تجري فيها لقاءات خاصة بالنساء كاجتماعات الأمهات على سبيل المثال[٦٥]، كذلك كان لابد لها من ارتداء زي محدد يمنح جسدها الوقار والهيبة، فكل النساء ترتدي زيا موحدا عبارة عن فستان حزين المظهر يلفها بلا ملامح واضحة، مع قلنسوة زرقاء، افتقر للجاذبية، وانتقص من جماليتها، وسرق منها ملامح الأنوثة[٦٦]، وعلى ما يبدو إن هناك زيا آخر للمناسبات الحزينة التي تمر على أفراد المنظمة، كمراسيم التشييع أو الدفن، ففي يوم جنازة كاثرين بوث في أكتوبر سنة 1890م، يصف احد شهود العيان الأحداث التي جرت حينها: **"كان موكبا غريبا لم أر مثيلا له من قبل، الرجال يكسيهم زي شبيه بزي رجال الإطفاء، والنساء ترتدي ملابس كئيبة فساتين واسعة داكنة على شكل كيس يشدها من الخصر زنانير بيض وعلى رؤوسها أغطية نصف دائرية"**[٦٧].

٣- الجانب التجاري:

كانت المنظمة في الحقبة التي ساد فيها الفقر والظلم الاجتماعي، سباقة في القدرة على التأسيس لأساليب حيوية غير تقليدية لجذب الأموال، فأقدمت في وقت مبكر من تأسيسها على تنظيم البيانات المالية، لتعزيز الشرعية وإضفائها على الصورة المالية للخدمات والرعاية التي تقدمها، لاسيما في السنوات 1865-1892م، التي نجحت فيها بالدفاع عن أساليبها المالية في مشروعها الذي أكدته في كتاب بوث انكلترا القائمة[٦٨]، من خلال اعتمادها على عدد من الشركات التي قامت بتأسيسها في التجارة بمختلف المجالات، وتطورت أساليبها التجارية لتصل إلى مرحلة توفير الاكتفاء الذاتي للمنظمة، فكانت شركة ريلا ينس للتجارة The Reliance Trading Company التي أسست سنة 1902م، لتوفير متطلبات جيش الخلاص من الملابس والشارات والكتب والآلات الموسيقية، فيما أسهمت شركة جيش الخلاص لصناعة المنازلThe Salvation Army Industrial Homes Company في مدينة نيوجيرسي، بدور مهم في توفير وتيسير العمل لأعضائها في المجال الصناعي في الولايات المتحدة، كما وشكلت المنظمة العديد من الشركات التي تهتم بمجال التنظيم الاجتماعي وشركات التأمين، وامتلكت بنكا خاصا بها عرف بـ بنك جيش الخلاصSalvation Army Bank، وكانت السيطرة الدائمة على أنشطة هذه الشركات والمؤسسات المالية تتم من الإدارة العليا، على الرغم من أنها تدعو لمساهمة الأفراد من خارج المنظمة فيها[٦٩].

توسعت رقعة انتشار المنظمة بتشجيع من الدول الاستعمارية، فوفقا لتقارير المنظمة لسنة 1908م، فقد وصل تواجدها لـ 52 دولة فضلا عن المستعمرات البريطانية، وكان نموها في الولايات المتحدة الأمريكية يشير إلى احتلالها المرتبة الثانية بعد بريطانيا[٧٠]، وذلك على النقيض من المؤسسات والمنظمات التبشيرية ذات الطابع والتوجه المحلي[٧١]، فارتبط الجانب التجاري للمنظمة بالجانب السياسي، وتأسس في أروقتها قسم "إدارة الهجرة" سنة 1903م، وحددت المبادئ التي تحكم سياسة

الهجرة فيها، وعلى وفق المنصوص عليه من قبل مؤسسها في أن تحقق الفائدة للفرد، وأن يحظى بالقبول في البلاد التي تستقبله، وأن يحقق الفائدة في البلد الجديد، واثبت نظامها على سياقات عملية للغاية، الأمر الذي أدى إلى توجه الحكومات الاستعمارية للاستعانة بها، في تنفيذ العديد من خططها الاستعمارية في ما وراء البحار[٧٢]، وعبر دعم الإدارة للامبريالية البريطانية وتوسيع مستعمراتها، وملئها بأعداد كبيرة من المهاجرين البريطانيين البيض، عن توجهات عنصرية واضحة، أكده التعاون والمراسلات بين الجنرال بوث وسيسل رودس Rhodes Cecil (1853-1902م) رئيس وزراء مستعمرة الكاب[٧٣]، لاسيما وان برنامج الهجرة الذي عدته الإدارة ودعمه الجيش بقوة، كان يشير إلى مكاسب وطنية، لأنها ستمكن للمهاجرين من استغلال الإمكانيات الاقتصادية الكبيرة للمناطق التي يستقرون فيها، ومن ثم الفوائد التي ستجنيها بريطانيا من تلك الهجرات[٧٤]، وقد ورد في تقرير مفوض الإدارة العليا للهجرة في جيش الخلاص D. C. Lamb الذي رفعه للإدارة العامة في المنظمة، أعداد المهاجرين و مجموع المبالغ المالية الممنوحة والمستوفاة كما هو موجود في الجدول التالي:

جدول بإعداد المهاجرين وتكاليفها (بالجنيه الإسترليني)

عن طريق إدارة الهجرة للمستعمرات - جيش الخلاص 1908-1914

السنة	مجموع المهاجرين		المساعدات					عدد المهاجرين على نفقتهم الخاصة
			المستفيدين بالمنح			المستفيدين بالقرض		
	العدد	التكلفة£	العدد	إجمالي المساعدات	إجمالي المنح £	العدد	إجمالي القروض £	إجمالي السداد £
1908	7,297	59,775	22	1,901	412	1,879	10,176	2,334	5,396
1909	3,911	25,794	98	140	617	140	1,147	2,920	3,673
1910	8,863	50,106	150	904	975	904	6,745	2,920	7,809
1911	9,099	48,511	160	1,026	1,300	1,026	7,749	4,783	7,913
1912	8,121	55,082	125	1,279	1,125	1,279	7,171	6,717	6,717
1913	8,615	56,065	120	1,324	1,001	1,324	7,246	7,453	6,937
1914	4,814	33,606	81	688	414	688	4,242	5,354	4,045

يتضح من تحليل الأرقام الواردة في التقرير أعلاه انتعاشا في حركة الهجرة، خصوصا للسنوات 1913-1910، وانخفاضها في سنة 1914، ومن المؤكد أن السبب يعود لاندلاع الحرب العالمية الأولى، لاسيما وان التقرير قد أشار، إلى إن احد أهم شروط تقديم المنح والمساعدات للمهاجرين، يتطلب توفر وضع صحي سليم للمهاجر ولياقة بدنية عالية، ومن يمتلك هذه المواصفات، لابد أن يكون قد تم استغلاله في التجنيد في جبهات القتال لا العمل في المستعمرات، كما ورد فيه حجم المنح والقروض التي تقدمها المنظمة للمهاجرين ومبالغ السداد، الأمر الذي يشير لتنامي قدرة المنظمة المالية ونجاح أساليبها التجارية.

وردت في التقرير أيضا الإشارة إلى تفاصيل مهمة، دلالة على منهجية عمل غاية في الدقة تشمل، فضلا عن أعداد المهاجرين، الجنس، العمر، الحالة الاجتماعية، الخلفية الثقافية، مسقط الرأس، المذهب، فيذكر على سبيل المثال أن نسبة الرجال في إحدى السفن بلغت نسبة العزاب من الرجال 45٪، ونسبة العازبات من الإناث بلغت 14٪، وبلغت نسبة الزوجين معا 23٪، وبلغت نسبة الأطفال دون سن الثانية عشرة 18٪، ومتوسط عمر البالغين كان 28 سنة، نسبة الأجراء 35٪ المنتظمون بعمل حين تنظيم سجلات الهجرة، و كانت نسبة غير المنتظمين بعمل بلغت40٪، أما غير الراضين عن فرص عملهم فقد بلغت نسبتهم 25٪، و فيما يخص التبعية الدينية، إن من مجموع 8000 مهاجر كان نسبة أتباع الكنيسة الانجليزية منهم 40٪، وأتباع الكنيسة المشيخية 20٪ (80٪ منهم من الكنيسة المشيخية الاسكتلندية)، 16٪ ينتمون للكنيسة الويسليانية، والأبرشيات والهيئات المعمدانية، و5٪ هم من أتباع جيش الخلاص والكويكرز وإخوة بلايموث وما إلى ذلك، و4٪ من أتباع كنيسة الروم الكاثوليك [٧٥].

ساد الاعتقاد أن وفاة بوث الأب سوف تؤدي إلى تفتت المنظمة لأنها ستفتقد لقوة وتأثير المؤسس[٧٦]، إذ كان بوث حاله حال ويسلي، قد امتلك إلى جانب

مهارته التبشيرية، درجة غير عادية من المهارة في إدارة العمليات والتنظيم، حتى أن هناك من أشار إلى أن هذه المنظمة في بداية تأسيسها، ما كانت لتستمر لو لا الزخم الذي منحته شخصيته(٧٧)، وقد أدت الصراعات التي شهدتها المنظمة حول الزعامة، إلى خلافات حادة بين بوث ونجله بالينغتون Ballington، الذي أسس فرعا لمنظمة جيش الخلاص في الولايات المتحدة سنة 1896م، التي تمحورت - كما يشير القس والقيادي المستقيل من المنظمة S. B. Williams – حول بعض المبادئ الراسخة في المنظمة، وتسببت بإقالة بالينغتون في محاكمة علنية، واستياء واحتجاج سكان نيويورك، شكّل الأخير على أثرها مع قسم من ضباط المنظمة وأفرادها المنسحبون منها، حركة متطوعي أمريكا Volunteers of America، على غرار أنظمة وقوانين جيش الخلاص، لم تستمر بالنجاح الذي شهدته في بداية تأسيسها(٧٨)، وبعد وفاة بوث الاب، تسببت هذه الصراعات في إقالة براموبل الابن الاكبر للجنرال بوث الذي تولى رئاسة المنظمة بعد والده، وانتخاب ادوارد ج هيمنس Edward G. Homance رئيسا عاما للمنظمة، ورغما عن ذلك، فان نشاطها نما بصورة ملحوظة في خمسة عشر عاما، من مؤسسات صغيرة متفرقة سنة 1890م إلى 687 مؤسسة سنة 1905م، واستمر هذا النمو حتى إعلان الحرب العالمية الأولى(٧٩)، وبعد انتهائها كان للمنظمة نشاطات مهمة في العمل على التخلص من آثارها وإعانة المتضررين(٨٠).

اجبر النمو السريع للمنظمة الآخرين على الاعتراف العلني بها، الأمر الذي دعا القائمين عليها للاهتمام بالنشر والإعلام للدعاية ولنشر أفكارها، وتوفير الكتب والمنشورات لأعضائها، فصدر عن دار نشرها في لندن التي عرفت بـ The Salvation Army Publishing Offices، وفي نيويورك باسم the Salvation Army Printing and Publishing House، مجلة صرخة الحرب War Cry التي صدر عددها الأول في 27 كانون الثاني 1879م في لندن، ولاحقا بمختلف اللغات في العديد من دول العالم، فأسهمت في التخفيف من حدة المعارضة المعلنة للمنظمة

من قبل المجتمع ومؤسساته المختلفة والجمهور، من خلال التركيز على الأفكار الإنسانية التي تهدف لتحقيقها، والنشاطات الخيرية التي قدمتها[٨١]، كما أسهم الكتاب الذي صدر عن دار جيش الخلاص للنشر للجنرال بوث في مخاطبة المجتمع بجرأة لم يشهدها من قبل، وبدأ في إثارة الأسئلة لإيجاد الحلول لمعالجة المشاكل التي واجهت الفئات المسحوقة، والذي أعيدت طباعته لمرات عديدة في وقت قصير، وانتشر في مختلف أرجاء العالم المتحضر آنذاك، وفي المقابل، أثار الكتاب معارضة واسعة في مختلف الأوساط الدينية والفكرية والاقتصادية، ودفع بالمنتقدين إلى إصدار مؤلفات للرد على ما جاء فيه من أفكار ومعالجات واستحالة تطبيقها على ارض الواقع[٨٢].

- الموقف من المنظمة

من خلال دعوته الإصلاحية التي أسست على ضوئها مبادئ منظمة جيش الخلاص، انتقد الجنرال بوث النظام السياسي والمؤسسات المدنية والحكومية، وأشار إلى انه ومنذ البدء وفي وقت مبكر من حياته لم يجد في محيطه أي دعم لجهوده التبشيرية [٨٣]، حتى من المؤسسة الدينية، التي عدها عاملا من عوامل هيمنة رأس المال على النظام الاجتماعي والاقتصادي في انكلترا[٨٤]، وكثيرا ما وردت انتقادات لاذعة للكنيسة الانجليزية الوطنية في كتاباته وفي أدبيات المنظمة، التي تشير إلى فقدانها جدواها، ووصولها إلى أعمق مستوى للبرود يمكن أن يتصوره المرء، ويتجلى ذلك بوضوح من منظر الرعية داخل الكنيسة، إذ كان للأغنياء مقصوراتهم الخاصة المحجوزة، التي تبدو مهجورة معظم الأوقات، فيما كانت مقاعد الفقراء توضع في الممرات الواسعة، أو في الجزء الخلفي من المنبر، حتى العلامات كانت توضع بدونية توحي أن أفكار يسوع المسيح ليس لها مكان هناك[٨٥]، وعدّ إن من المؤسف أن تنتشر مستعمرات من الكافرين والهمج، في قلب العاصمة على مرأى ومسمع من اللاهوتيين، وان من أكثر الأمور إثارة للسخرية أن المؤسسات الكنسية بما تمتلكه من

إمكانيات مادية ومعنوية، تسعى لتخليص من يلجأ إليها من جحيم الآخرة، فما الذي تفعله ويفعله من يرتدي زي الكهنوت لإنقاذهم من جحيم الحياة؟[٨٦].

نتيجة لذلك، جوبه بوث بمعارضة قوية من الكنائس الأخرى، وقد أشار إلى انه خاض خلال أفضل عشر سنوات من شبابه، معركة حامية ضد الحواجز التي وضعتها مجموعة الكنائس لكبح جهوده التبشيرية، إضافة إلى التحذيرات التي كان يطلقها رجال الدين البارزين في كنيسته الويسليانية[٨٧]، لأنه أوجد لنفسه مهام عمل لا تتطابق مع المواصفات التي تضعها هذه الكنائس لأعضائها، تتطلب هذه المهام الحماس والنشاط، وان يكون حرا وغير مقيد بقواعد تنظيمية اتسمت بالروتين والرتابة، وفشلت في تحقيق الهدف المطلوب من عقود، ولربما كان هذا هو السبب الذي جعلها تفقد قوتها الروحية والمادية المؤثرة في المجتمع[٨٨]، ويشير Coates إلى إن الكنائس المعارضة الميثودية، قد ارتكبت خطأ فادحا بطرده ومعارضته لاحقا[٨٩]، كما انتقد بوث النظام السياسي في انكلترا وعبثية الصدام مع التيارات المعارضة، فهو لن يحقق شيئا ذا فائدة في الاصطدام بالاشتراكيين أو القوميين أو مختلف المدارس الفكرية الأخرى، باستثناء أولئك المفكرين الاقتصاديين المناهضين للمسيحية، ممن يحلمون بسيادة نظرية البقاء للأقوى (الشيوعيون)[٩٠].

كانت المعارضة العنيفة التي واجهت بوث في ثمانينيات القرن التاسع عشر، قد حددت لنفسها مهمة تدمير المنظمة، ففي الوقت الذي انضم فيه عدد محدود من المؤمنين بالمنظمة بداية تأسيسها، كانت البلاد كلها على ما يبدو ضدها[٩١]، فنال هو أيضا حاله حال باقي المصلحين الدينيين نصيبه الاضطهاد الذي اتخذ أشكالاً عدة[٩٢]، فاتهم بتكوينه بابوية جديدة، وان همه كان يتركز حول السلطة الكنسية وان يكون بابا جديداً، كما اتهم بالدكتاتورية وتكوينه لفرق خاصة لإرهاب الناس، خصوصا ممن يمتلك المال والسلطة لتنفيذ رغباته ومطالبه، بل إن هناك من كان لا يتردد بإطلاق صفة النبوة عليه، لأنه كون جيشا وحركة دينية عدت الأولى منذ عهد

الرسل، كما إن جيشه متواجد في كل العالم الموصوف بالهرطقة[٩٣]، كما هو الحال مع جون فوكس الذي اتهم بسعيه لتكوين بابوية جديدة، إلا أن الأخير كان يتمتع بحماية كروميل Oliver Cromwell (1599-1658م)[٩٤]، في حين كانت معارضة بوث ومنظمته من الكنائس الأخرى و "العشارين" والغوغاء تزداد مع النمو السريع لها وزيادة عدد المنضوين فيها، وكثيرا ما كانت هذه المعارضة تتخذ أشكالا متطرفة من العنف، ففي مدينة شيفيلد حدثت أسوأ أعمال شغب ضد بوث واتباعه، حين تعرض موكب يتقدمه بوث وزوجته لهجوم من عدد كبير من المسلحين بالعصي والحجارة، أصيب فيه هو وزوجته وأتباعه المتحمسين بشتى الجروح ومزقت ملابسهم، وثارت أعمال شغب أخرى في أماكن عديدة مثل غيلدفورد Guildford و أربوث Arbroath و فوفار Forfar وغيرها[٩٥]، كما مارس معارضوه أساليب أخرى للتنكيل به وبحركته، من خلال محاكاة ساخرة لمنظمته أطلق عليها جيش الهيكل العظمي "The Skeleton Army"، كما تعرض أتباعه للغرامة والسجن بحجة إخلالهم بالأمن[٩٦]، وفي إحصائية يوردها Begbie تشير إلى أن عدد الاعتداءات خلال اثنى عشر شهرا على أعضاء المنظمة بلغت 669 حالة اعتداء، منها 251 حالة اعتداء على النساء، بالضرب والركل بوحشية، وشهدت مبانيها 56 حالة اقتحام وتدمير جزئي، ومعظم هذه التجاوزات كانت تحت نظر رجال الشرطة دون أن تتدخل لفرض القانون[٩٧].

حصل بوث في الوقت ذاته، على دعم مهم من بعض رجال المال والأثرياء المتحمسين له، كـ صامويل مورلي Samuel Morley و ت. ا. ديني T. A. Denny، ولم يقتصر الأمر على الأثرياء بل أن التشجيع والتأييد كان يتواصل من رجال بارزين في المجتمع، أمثال جون راسكين John Ruskin الكاتب والأديب المؤثر في تطور الاشتراكية المسيحية، والراديكالي - الليبرالي جون برايت John Bright عضو مجلس العموم البريطاني المؤيد بشدة للحرية الدينية، وكثيرا ما كان المتعاطفون مع

جيش الخلاص من أعضاء مجلس العموم يطرحون الاعتداءات التي تواجهها المنظمة لمناقشتها من قبل الأعضاء[٩٨]، فبعضهم كان رغما عن تعاطفه معهم ضد السياسة غير التسامحية التي تجابه بها من قبل الهيئات والطوائف الدينية الأخرى، إلا أنهم كانوا يتذمرون أحيانا من تصرفات المنظمة التي يعدها الآخرون استفزازا، لاسيما بعد تزايد الإشارات التي كانت ترد عن فقدان المنظمة لمصداقيتها[٩٩]، كما حصل في قضية الاستعراض العسكري الذي تقرر أن يقام للمنظمة مرورا بالربع الكاثوليكي من المدينة، كما صدر تقرير في 23 مارس سنة 1882م، لتوضيح المسألة المعروضة على مجلس العموم البريطاني، للفت انتباه وزير الدولة لشؤون الداخلية لهذه المنظمة، وتحديد ما إذا كان سيتم استصدار تعليمات للسلطات المحلية لقمعها، لما تسببه من شغب وما تثيره من قلق على السلام والهدوء في البلد[١٠٠].

الخاتمة

أثارت منظمة جيش الخلاص الكثير من الجدل بين الأوساط الدينية والاجتماعية في بريطانيا منذ بداية تأسيسها سنة 1878م، لنهجها الذي لا يتلاءم مع الوضع التقليدي لمؤسسة دينية إصلاحية، إذ تمثل التجديد الذي خالفت به المنظمات والمؤسسات التبشيرية الأخرى بتركيز جهودها في ثلاثة محاور:

أولا- تمثل في الفئات التي استهدفتها المنظمة بمختلف نشاطاتها.

ثانيا- في طبيعة الوسائل المبتكرة في التواصل معها.

ثالثا- في كيفية استغلال هذه الفئات بعد ضمها للمنظمة لتحقيق أهدافها.

وعلى الرغم عن الانتقادات والصعوبات التي واجهت بوث ومنظمته، إلا أنها حققت نتائج مهمة على مختلف الأصعدة، من خلال تسليطها الضوء على مكامن الخلل في النظام الكنسي القائم آنذاك، ومحاربة الفقر وظواهر التفاوت الطبقي في المجتمع، ورفعت من مستوى الاهتمام بالمرأة لتحقيق مساواتها مع الرجل، واعتمدت

أساليب علمانية في توجيه شؤونها الإدارية والتنظيمية لم تكن مألوفة في الأوساط الدينية، إلا أنها تحولت بالتدريج إلى مؤسسة دكتاتورية تقدس زعامتها إلى درجة إطلاق صفة النبوة، ودخلت في منظومة النظام العالمي الاستعماري بقوة، من خلال مؤسساتها التجارية المقتدرة ماليا، والبروباغندا التي وفرتها لها مؤسساتها الإعلامية.

Abstract

The salvation organization is one many non-sectarian missionaries founded in the nineteenth century. This association headed toward areas beyond the missionary efforts then; it targeted the poor, homeless, harlots, and addicts. It is distinguished by its nontraditional ways, for it depended on military uniform and discipline, music and mass marches. Therefore, it spread despite the violent resistance of the church and the contemporary social trends because of the efforts of its founder, the methodist preacher (later general) William Both, who was of great willpower that made others follow him blindly; hence, he was able to spread his thoughts that gave solutions for various spiritual and worldly needs of his followers . Therefore, this organization was not only a religious one; it was a social, military, trade, and political organization. The cultural imperialism helped in the spread of the tenets of this organization because of the harmony between the ideas of the two

هوامش البحث

(١) جان بيرنجيه وآخرون، موسوعة تاريخ أوربا والعالم، ج٢ من القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر، منشورات عويدات، (بيروت، ١٩٩٥م)، ص٢٧٦.

(٢) أي أتباع الإنجيل "النقي" الخالي من الإضافات البابوية، أما مصطلح الكنيسة الإنجيلية Evangelical Church فهو مصطلح حديث ينطبق على فرع من الكنيسة البروتستانتية في ألمانيا تشكلت سنة ١٨١٧ بناء على طلب من قبل الاتحاد اللوثري وكنائس البروتستانتية في عهد فريدريك وليام الثالث Friedrich Wilhelm III. (١٧٧٠-١٨٤٠م) ملك بروسيا، للمزيد:

Catholic Encyclopedia, Vol. 5, 1913.

(٣) بيرنجيه وآخرون، المصدر السابق، ص ص٢٨٧-٢٨٨.

(٤) لأنها تدار بنظام مشيخي فالقسوس شيوخ معلمين، وشيوخ الكنيسة هم مدبرون يعاونون القسوس في تأدية مهام وظيفتهم، للمزيد عن التعاليم اللاهوتية الأساسية للفرق الإصلاحية ينظر: مرسيا الياد، تاريخ الأفكار والمعتقدات الدينية، ترجمة عبد الهادي عباس، ج٣، دار دمشق، (دمشق، ١٩٨٧م)، ص ص٢٦٠-٢٧٣.

(٥) سعد رستم، الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم، دراسة تاريخية دينية سياسية اجتماعية، ط٢، الأوائل للنشر والتوزيع، (دمشق، ٢٠٠٥م)، ص١٨٣.

(٦) جـ. ويلتر، الهرطقة في المسيحية، ترجمة جمال سالم، دار التنوير للطباعة والنشر، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص١٨٨.

(٧) للمزيد من الإيضاح حول هذه المبادئ، ينظر: فايز فارس، أضواء على الإصلاح الإنجيلي، دار الثقافة المسيحية، (القاهرة، ١٩٨٤م) ص ص٤٦-٦١؛ سعد علي محمد الشهراني، الجذور الاعتقادية للإرهاب في الأصولية الإنجيلية، (د.م، ١٤٢٧هـ)، ص ص٩-١١.

(٨) البيوريتان (التطهيرية) Puritanism ظهرت في بريطانيا، تعود إلى عهد الملكة إليزابيث (١٥٥٨-١٦٠٣م)، ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتخلص من قبضة الدولة، حتى عد البعض أن أمريكا بنيت على أسس بيورتانية، وسموا أنفسهم بالحجاج، والساحل الذي هبطوا فيه من أمريكا بـ انكلترا الجديدة New England، أكدت على إصلاح كنيسة الدولة، وإلغاء الطقوس الكنسية، والتطرف في مواجهة تقاليد الكنيسة الكاثوليكية، للمزيد، ينظر: جورج م. مارسدن، كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والايفانجليكية، ترجمة نشأت جعفر، مكتبة الشروق الدولية، (د.م، د.ت)، ص ص١٢-١٣.

(٩) نشأت جماعة الادفنتست السبتيون او المجيئيون، على يد وليم ميلر في ماساتشوستس في الولايات المتحدة سنة ١٧٨٢م، ادعى قدوم المسيح سنة ١٨٤٣م ثم ١٨٤٤م، وبعد بطلان مزاعمه حورت الجماعة مفهوم عودة المسيح بقبول الكفارة، رفضت الجماعة الاحد المسيحي وقدست السبت وأطلق عليهم السبتيون، للمزيد عنهم ينظر: الانبا بيشوي، من هم الادفنتست السبتيون والرد على عقائدهم الخاطئة، مكتبة المكتبة، (د.م، ٢٠٠٠م).

(١٠) جماعة تأسست في بنسلفانيا، في سرداب احد المحافل الماسونية على يد تشارلز رُسل Charles T. Russell الذي ادعى انه نبي الله الملهم الوحيد لشرح الكتاب المقدس في الأرض، الجماعة تعلن أنها صليبية العقيدة، خالفت الكنيسة في أصول العقيدة فرفضت التثليث، وربوبية المسيح، وعارضت

كل أنواع الحكم وكل دين يخالف دين الشهود، وأعلنت أن لا ملكوت في الأرض بدون عودة اليهود إلى وطنهم في فلسطين، للمزيد عنهم: أبو إسلام احمد عبد الله، شهود يهوه التطرف المسيحي في مصر، بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، (القاهرة، د. ت)، ص ص١- ٤٧.

(١١) الميثودية وتعني المنهجية، نسبة للنظام المنهجي الدقيق الذي ألتزمته في دراسة الكتاب المقدس، ولإتباعها نظاما دقيقا في العبادات والأعمال الخيرية، تأسست بعد بروز ظاهرة مدارس الأحد سنة ١٧٨٠م على يد جون ويسلي (١٧٠٣-١٧٩١م)، الأبرز بين أعضائها ما كان يعرف بـ طائفة كلافام التي ضمت مجموعة من الأثرياء العلمانيين الإنجيليين الذين دعموا الحركة بسخاء، بالرغم من أن الميثودية تتبع بصورة عامة عقيدة الكنيسة الإنجليكانية، ويتمسك معظم أتباعها بالليتورجيا الأسقفية البروتستانتية، إلا أنها خالفت الكالفينية في مسألة الخلاص ونوال التقديس الكامل على الأرض ، للمزيد عنها ينظر:

D. C. Somervell, A Short History of our Religions from Moses to the present day, the Macmillan Company, (New York, 1922), p.p.257-259.

(11) Pamela J. Walker, Pulling the Devils Kingdom Down, The Salvation Army in Victorian Britain, University of California Press Ltd., (California, 1960), p.13.

(12) Henry Gariepy, Christianity in Action The international History of the Salvation Army, Wm. B. Erdmands Publishing, (Michigan, 2009), p.1.

(١٣) يتحدث بولس عن حادثة النور من السماء الذي ابرق حوله في طريقه لاضطهاد المسيحيين، التي أدعى فيها أن المسيح قد تجسد فيه وصار رسولا ..، للاستزادة: أعمال الرسل: ٩/ ١-٥؛ الرسالة إلى غلاطية: ١/ ١١-١٢؛ للمزيد عن اثر هذه الحادثة على بوث، ينظر:

George S. Railton, Twenty-one Years Salvation Army under the Generalship of William Booth, the Salvation Army Publishing Offices, (London, 1889), p.7.

(14) William Booth, In Darkest England and the Way, 1st Edition, the Salvation Army Published, (London, 1890),p.p.1-2.

(15) Susan Cohen, The Salvation Army, Shire Library, p.2.

(16) Railtona, op. cit., p.6.

(17) Cohen, op. cit., p.2.

(18) Thomas F. G. Coates, The Prophet of the Poor, the Life-story of General Booth, E. P. Dutton and Company, (New York, 1906), p.34.

(19) Cohen, op. cit., p.2.

(20) Booth, op. cit., p.12.

(21) Coates, op. cit., p.2.
(22) Randal Herbert Balmer, Encyclopedia of Evangelicalism, Westminster John Knox Press, (Kentucky, 2002), p.78.

(٢٣) للمزيد عن حياة كاثرين بوث الزوجية، ينظر:

1- Trevor Yaxley, , Bethany House, (U S A, 2003).
(24) Balmer, op. cit., p.78.
(25) Cohen, op. cit., p.2; Lillian Taiz, "Applying the Devil's Works in a Holy Cause: Working-Class Popular Culture and the Salvation Army in the United States 1879-1900", Religion and American Culture: A Journal of Interpretation, Vol.7, No.2, University of California Press, Summer, 1997, p.199.
(26)G. W. Foote, Salvation Syrup or Light on Darkest England A Reply to General Booth, Progressive Publishing Company, (London, 1891), p. 4.
(27) "Pope Booth, the Salvation Army', "Microfilm", (University of Alberta libraries,
1950),p.8.

(28) Evangeline Booth and Grace Livingston Hill, The War Romance of the Salvation Army, J. B. Lippincott Company, (Philadelphia, 1919), p.p.5-6.
(29)) Coates, op. cit., p.3.
(30) Booth, In The Darkest England, p.21.
(31) Commander Booth Tucker, William Booth the General of the Salvation Army, the Salvation Army Printing and Publishing House, (New York, 1898), p.28.
(32) Nora Marks, Facts about the Salvation Army, Aids and Methods of "Hallelujah Band", Rand McNally & Company Publishers, (New York, 1889), p.17.
(33) Edwin D. Solenberger, The Social Relief Work of the Salvation Army in the U. S, Byron & Willard Co., (Minneapolis, 1906), p.5.
(34) "Pope Booth', "Microfilm", op. cit., p.6;

وللمزيد عن الضوابط العسكرية والقسم والمتطوعين، ينظر:

S. B. Williams, The Salvation Army Today, the Church Press, (Nebraska, 1914), p.p.,6
(35) Somervell, op. cit., p.283.

(٣٦) للمزيد عن القصائد التي تناولت بوث وحماسته الدينية ومنجزاته، ينظر مثلا:

Nicholas Vachel Lindsay, General William Booth Enters into Heaven and other Poems, Mitchell Kennerly, (New York, 1913), p.p.,1-4.

(37) Coates, op. cit., p.3.
(38) Marks, op. cit., p.14.

(٣٩) للمزيد:

Somervell, op. cit., p.283.
(40) Booth, op. cit.,28.
(41) Gariepy, op. cit., p.p.12-13.
(42) Coates, op. cit., p.3.
(43) Evangeline Booth and Hill, op. cit., p.p. 10-11
(44) Lillian Taiz, Hallelujah Lads & Lasses: Remarking the Salvation Army in America 1880-1930, the University of North Carolina Press, (United State, 2001), p.p.12-13.
(45) Railton, op. cit., p.14.
(46) Evangeline Booth and Hill, op. cit., p.p.10-11.
(47) Marks, op. cit., p.14.
(48) "Pope Booth", Microfilm, op. cit., p.8.

(٤٩) ينظر المقدمة من كتاب:

William Booth, (Compiled), Salvation Army Songs, The Salvation Army Book Department, (London, 1911), p. III.
(50)Ibid, p. IV.
(51) A. M. Nicole, General Booth and the Salvation Army, Herbert and Daniel, (London, 1911), p. XI.
(52) Evangeline Booth and Hill, op. cit., p.p. 10-11.
(53) Solenberger, op. cit., p.5
(54) Williams, op. cit., p.6.
(55) Railton, op. cit., p. 16.
(55) Solenberger, op. cit., p.5.
(56)Railton, op. cit., p. 16.

(٥٧) وردت معلومات مفصلة في جداول عن هذه الفئات، للمزيد عنها ينظر:

Booth, op. cit., p.p.16-17.
(58)Mary Poovey, Uneven Developments: The Ideological Work of Gender in Mid-Victorian England, The University of Chicago Press, (USA, 1988), p.21.
(59) Gariepy, op. cit., p.34.
(60)Booth, op. cit., p.11.

(٦١) جمعية تأسست في القرن السابع عشر من المسيحيين البروتستانت على يد جورج فوكس، للمزيد:

Jackson I. Cope, "Seventeenth-Century Quaker Style", Modern Language Association Journal, Vol. 71, No. 4, September 1956, p.p.725-754; Elton Trueblood, The People Called Quakers, Harper & Row, (Michigan, 1966).

(62) Balmer, op. cit., p.78.

(63) Solenberger, op. cit., p.5;

وللمزيد من التفاصيل عن وضع المرأة في المنظمة، ينظر الفصل السابع من كتاب:

Railton, op. cit., p.p.94-112.

(64)Marks, op. cit., p.17.

(65) Coates, Twenty-one years Salvation Army …, op. cit., p. 38.

(66)Marks, op. cit., p.17.

(67) للمزيد من الرسوم التوضيحية عن الجيش والأزياء والفعاليات التي كانت تجري في القرن التاسع عشر، ينظر:

"Pope Booth", Microfilm, op. cit., p.1.

(68) Helen Irvin, "The Legitimizing Power of Financial Statements in the Salvation Army in 1865-1892", The Accounting Historians Journal, Vol.29, No.1, June 2002, p.2.

(69)Williams, op. cit., p.5;

(70)Commander Booth-Tucker, Life of William Booth, S. A. Press, (New York, 1898),
p.57.

(71)Taiz, Hallelujah Lads & Lasses.., op. cit., p.13.

(72)D. C. Lamb, "Salvation Army Emigration", The Eugenics Review Journal, Vol.10, July 1918, p.91.

(٧٣) للمزيد عن التوجهات العنصرية في مجال الهجرة التي اشرفت عليها ادارة الهجرة في جيش الخلاص ينظر مثلا الفصل الاول من كتاب:

Nicol, op. cit., p.p. 1-83.

(٧٤) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر:

Daniel, op. cit., p.p.33-48.

(75) Lamb, op. cit., p.92.

(76) Coates, op. cit.,, p.III.

(77) Somervell, op. cit., p.283.

(78)Willams, op. cit., p.p.7-8.

(٧٩) للمزيد، ينظر الفصل الثالث من كتاب:

John Manson, The Salvation Army and the Public, E. P. Dutton & Co., (New York, 1906), p.p.,15-29.

(80)Evangeline Booth and Hill, op. cit., p.9.

(81) Harold Begbie, The Life of General William Booth, the Founder of the Salvation Army, Vol. II, the Macmilian Company, (New York, 1920), p.5.

(٨٢) للمزيد عن هذه الردورد، ينظر مثلا:

Foote, op. cit., p.p., 9-31.

(83) George Scott Railton, The Authoritative Life of General William Booth Founder of The Salvation Army, George H. Doran Company,(London,1912), p.23.

(84)Booth, op. cit., p.13.

(85)Railton, The Authoritative Life …, op. cit., p.9.

(86)Booth, op. cit., p.13.

(87)Railton, op. cit., p.17.

(٨٨) للمزيد عن وضع الكنيسة الانكليزية في القرن التاسع عشر، ينظر الفصل الثالث من كتاب:

Begbie, op. cit.,p.p., 22-37.

(89) Coates, op. cit., p.2.

(90)Booth, op. cit., p.14.

(91) Begbie, op. cit., p.4

(92) Somervell, op. cit., p.283.

(93) "Pope Booth", Microfilm, op. cit., p.4.

(٩٤) اوليفر كروميل قائد الثورة ضد الملكية ومؤسس الكومنويلث في انكلترا سنة ١٦٥٣م وساند الكنيسة الأسقفية ضد التعصب الانجليكاني، للمزيد عنه:

Robert S. Paul, The Lord Protector: Religion and Politics in the Life of Oliver Cromwell, (London,
1955).

(95) Begbie, op. cit., p.4.

(٩٦) للمزيد:

Somervell, op. cit., p.283.

Begbie, op. cit., p.p.4-5.) 97 (

(98)Ibid, p.3.

(99)Williams, op. cit., p.13.

(100) Begbie, op. cit., p.5.